

لماذا العدوان على اليمن والتآمر على سوريا يُمثّلان أكثر السقطات العربية انحطاطاً؟



المفكرون والمثقفون الأُصلاء هم الذين يحاصرون الكراهية والمذهبية والعنف ويعملون بمختلف الوسائل على مراقبة الأحداث وتنوعية المجتمعات والدفاع عن مظلوميتها والمساهمة في تشخيص الأمراض التي تُعاني منها وكشف الرواسب الخسيسة التي دفعت وتدفع ببلداننا إلى هذه الوحشية والسوداوية ومشاعر الاخفاق العميقة .

كثيرا ما رددنا عبارات إن مجتمعاتنا بحاجة ماسة إلى إنقاذها وإعادة وضعها في المدر الطبيعي وتحصينها من الحروب والتمزُّق والطائفية والنوازع الشريرة وكل ما له صلة بإقتناء وإستعادة آلة الموت كقوة وخيار وحيد نؤمن به كوسيلة مشروعة ومُثلى للتخلص من بعضنا البعض في مجتمعات العربية التي فشلت إلى اليوم في تقديم النموذج الجيد والضمانات والأفكار اللائقة التي ستُحدِّد من هذه الجنازية والتفتُّت .

وأنا أكتبُ هذا المقال تواصل معي الصديق والمثقف اليمني/ القاضي يحيى الإرياني محافظ إب السابق، ووفاني بمقال مهم جدا للكاتب الفلسطيني القدير/ أكرم طه جزء من الأفكار التي تضمنها كانت تجول في

خاطري، وقد تحدث فيه بوجودان وفكر الإنسان الشاهد، صاحب الضمير الحي والقلب المكلوم بسبب ما وصلت إليه أمتنا من تفسّخ وإنحطاط وإقتتال وبؤس.

وهنا أقولُ: ماذا صنعت الأمة العربية - بالفعل - للشعوب المذبوحة كالشعبين اليمني والفلسطيني ، كيف واجه المثقفون والمفكرون والسياسيون ورجال الدين والتجّار والمتخمون بأموال النفط والغاز براكين الجهل والطائفية والتعصب والتكفير والعجز والتهجير والحصار ؟

ماذا صنع العرب للشعب اليمني أمام رياح الفاشية العاتية التي تُدمره وتُحاصره وتعتدي عليه منذُ عامين ، ماذا قدّموا له وهو يُجوع ويُذَل ويُسحقُ ويفقد تعايشه ومصادر رزقه ومواطنته وتعايشه في بعض أجزائه؟

ماذا صنعت العروبة لشباب وشابات فلسطين الذين يقتلهم الإسرائيليون بمجرد وضع أيدهم في جيوبهم لتدفئتها من الصقيع؟

لم تعد الذاكرة ملعونة كونها تضعنا أمام جراحاتنا حيثُ تشاء ، كما يرى الروائي الكبير واسيني الأعرج ، وإنما الحاضر هو الملعون والضامئ الميتة والقلوب المقفلة والإحاسيس المتبلدة هي الملعونة.

من يستطيع يجيبنا بشفافية: من الذي يقتل اليمنيين جهارا نهارا ، وأين العرب وقيم الإنسانية والدين مما يجري لأطفاله الذين لم يأبه أحد لجوعهم وأنين قلوبهم وغناء أرواحهم المجروحة وأجسادهم الممزقة

من يستطيع أن يوثّق لنا مسيرة تضامنية واحدة مع الشعب اليمني خرجت في أي عاصمة أو مدينة عربية ولو من باب إسقاط الواجب بعد صلاة يوم الجمعة خلال (650) يوما ؟

من يستطيع أن يوافقنا بنصف دقيقة واحدة لخبر ثانوي بثته إحدى القنوات العربية الرسمية - بإستثناء القنوات السورية - تنقل فيه الحقيقة وتقول إن السعودية والإمارات والعرب يقتلون اليمنيين هكذا بتلك الطريقة التي حدثت في الـ8 من أكتوبر 2016 في القاعة الكبرى؟

من يُعطينا موعدا لليوم الذي سيلتفت فيه العرب والعالم لما يجري في اليمن، من يقول لنا متى سيأتي اليوم الذي سيزيل فيه العرب عن عيونهم هذه الأغطية ويكشفون أستار وأقنعة العار ؟

وحدثنا الاجتماعية والوطنية والنفسية تمرّقت، مقابرنا أمتلأت بالشهداء ، تراثنا دُمّر، عروبتنا أصبحت شماعة لقتلنا، أصالتنا تحولت إلى مصدر للتآمر علينا ، إيماننا بقضيتنا جريمة، دفاعنا عن النفس عمالة لإيران، بنادقنا اليدوية أسلحة خطيرة ومحرمة تُهدّد مكة المكرمة ، بينما قنابلهم العنقودية والفسفورية السامة التي يقصفوننا بها على مدار الساعة خلال وباقات ورود ومحبة .

الجميع مشارك بقتلنا في اليمن وسوريا والعراق وفلسطين وغيرها ، بهدف خلق مجتمعات محطّمة ، جائعة ، محرومة ، مقهورة ممزقة؟

والسؤال هنا : هل يا تُرى يسعد هذا المثقفين والسياسين والمفكرين وأصحاب شعارات العروبة ، هل يُسعدهم أن أحزاننا أكثر من أفراحنا، وبكاءنا أكثر من ضحكاتنا ، وقتلنا أكثر من مواليدنا ، وليلنا أطول من نهاراتنا ، وجوعنا أكثر من شبعنا ، وما يفرقنا أكثر مما يجمعنا بسببهم ؟

وهل يُعجبهم أن كثيرا من المناطق في هذه البلدان تحولت إلى فقاسات للإرهاب والطائفية ، وصارت في نظر الآخلة ومصادر للجهل والموت؟

وهل يُشرف عربيا واحدا أن جوازات سفرنا في مطارات العالم يتعاملون معها كطرود مشبوهة ، ولامحنا ككائنات منبوذة ، وفصائل دمانا مكروهة ووحيدة ولا تنطبق على أي فصائل أخرى في المجتمعات البشرية المتحضرة ؟

وهل تُدرك السعودية بأنها خسرت اليمن وخسرت حربها فيه وقتلت شعبا عربيا ، عزيزا وسندا لها وحولته إلى أطلال وخراب وفوضى وجغرافيا منسية ؟

وهل يُدرك شركاء الحرب والفوضى في هذه البلدان أنهم ذبحوا وشرّدوا جيلا كاملا وفرقوا بين الزوج وزوجته والأمهات وأطفالهن والأخ وأخيه والأب وأبنائه ؟

وهل يُدرك الإخوة في الخليج إن التمرّق سيطالهم وأن هذه الخطابات والمبررات كلها صارت بائسة ، يائسة ، لا معنى لها لدى السواد الأعظم في هذه المجتمعات التي تكابد التآرّق والتحرّق الذي فُرض عليها ؟

وهل يُدرك هؤلاء أننا الذين بقينا نقاوم هذا البؤس والضلال والظُّلم والعدوان والحرمان لم نعد نثق

بهم ، وأننا قد صرنا نخشى بشدة على كياننا ووجودنا كأمة عربية، ظلت طوال قرون تحاول إستعادة شيء من مفقوداتها وتتخلص من جهلها وهوانها وعصبيتها وتفككها، وصولا إلى مقاومة الإستعمار بكافة أشكاله وألوانه وصوره ومنظريه؟

الخلاصة :

لکم نحن بحاجة لـمن يسمعنا ، لکم نحن بحاجة إلى آلية وصيغ جديدة ، إلى مثقف ملتزم ، مخلص لأمته ، إلى سياسي حر، شريف منتمي للحقيقة والمستقبل، إلى زُخْب تُدْرِك معنى الوحدة والعدالة الاجتماعية وإحترام الآخر والقبول به وبمبدأ التعدُّد والتنوُّع الخصب في إطار القُطر الواحد والأقطارمجتمعة .
لا مزيد من تساؤلات الوجد .

فقط، بقي أن أهنيكم بمناسبة العام الميلادي الجديد ..كل عام وأنتم بألف خير.

بقلم : عبدالكريم المدي ... كاتب من اليمن